

العدد الحادي عشر

محرم ١٤١٥ هـ

مجلة جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية

المتنبي في ذخيرة ابن بسام الأندلسي

إعداد

د. محمد بن عبدالرحمن الربيع

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عنى ابن بسام الشنتريني الأندلسي بأبي الطيب المتنبي شاعر العربية الأكبر فترجم في كتابه الشهير (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)^(١) ترجمة عارضة وتحدث عنه في مواضع كثيرة من الكتاب تجاوزت (١٣٧) مائة وسبع وثلاثين موضعاً^(٢) وأبدى إعجابه به في أكثر من موضع ووجه إليه بعض الاعتراضات والمؤاخذات.

وقد وجدت أنه من المفيد للدرس الأدبي أن أقف عند رأي ابن بسام في المتنبي وموقفه من شعره وموقفه من تأثر الأندلسيين بشعر المتنبي لتتعرف على نموذج حي للنقد التطبيقي عند ابن بسام الشنتريني ولتتعرف من خلال ذلك على تأثير شعر المتنبي على الحركة الشعرية في الأندلس وعلى نموذج من إسهام علماء الأندلس في الدراسات المتعلقة بأبي الطيب (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ).

ولسنا في حاجة إلى الترجمة للمتنبي فهو من أشهر من أن يعرف به ولا بأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني^(٣) (٤٥٠ - ٥٤٢ هـ) إذ ليس هدفنا من هذا البحث دراسة حياته ولا مؤلفاته لكننا سنتوقف قليلاً للتعريف بمنهجه الأدبي والنقدي من خلال كتاب (الذخيرة)^(٤) تمهيداً للدخول إلى موضوع من هذا البحث وهو (المتنبي في كتاب الذخيرة).

المنهج الأدبي والنقدي لابن بسام في كتابه الذخيرة:

إن دراسة كتاب (الذخيرة) وبيان مصادره ومنهج تأليفه والأصول الأدبية والنقدية لمنهج مؤلفه أمر يحتاج إلى تفصيل وإطالة لكننا نشير إلى المعالم البارزة لمنهج ابن بسام في الذخيرة والتي تتمثل في النقاط التالية:

- ١ - تأثر ابن بسام في خطة تأليف الكتاب بالثعالبي في يتيمة الدهر^(٥).

- ٢ - شخصية ابن بسام واضحة في الكتاب حيث لا يكتفي بتجميع المعلومات عن المترجم لهم بل يبدي رأيه ويعلق ويوازن ويستنتج .
- ٣ - يعتمد على السجع في أسلوبه لكنه سجع في غالبه غير متكلف^(٣) .
- ٤ - لم تكن ثقافته الأدبية والتاريخية مقصورة على أدب المغاربة والأندلسيين وحدهم بل كان على معرفة واسعة بأدباء المشرق يدل على ذلك ما أورده من تراجم لبعض المشاركة في القسم الرابع وما يرد في ثنايا التراجم الأندلسية من حديث عن المشاركة .
- والجانب المهم هنا حرصه على الموازنة بين المشاركة والمغاربة وبيان تأثيرات الأدب المشرقي في الأدب المغربي .
- ومع اعتزازه بأدب قومه إلا أنه ينظر إلى الأدب المشرقي على أنه النموذج الذي يحتذى ولذلك يكثر من تشبيه شعراء الأندلس بعمالقة الشعر في المشرق فهذا الشاعر هو متنبى المغرب وهذا هو بحترى الأندلس وهكذا .
- ٥ - اعتمد في تأليف الذخيرة على مصادر أدبية وتاريخية كثيرة^(٤) مما يدل على سعة اطلاعه وثقافته ولم تكن تلك المصادر مقصورة على المؤلفات الأندلسية بل كانت شاملة عامة لمصادر التراث العربي قاطبة .
- ٦ - النزعة الأخلاقية واضحة في كتابه فهو يكاد يرفض شعر الهجاء والمبالغات التي تتجاوز حدود الدين . يقول الدكتور إحسان عباس^(٥) (ويمكن أن نقول إن مذهب ابن بسام في النقد يقوم على ركيزتين كلتاهما تتصل بأبي محمد بن خزم إحداهما ركيزة الدفاع عن تراث الأندلس عامة والثانية النظرة الأخلاقية في الحكم على بعض الفنون الأدبية) .
- ٧ - اهتم بالبديع والكشف عن جماله وتحديد الأنماط التي طرقتها شعراء الأندلس .
- ٨ - يرى أن الفلسفة والتفلسف في الشعر يفسده ويذهب بجماله وأن إقحام الفلسفة في الشعر خروج على سنن العرب ومنهجهم الشعري .
- ٩ - يكثر من الموازنة بين الشعراء في النطاق الأندلسي حيناً وبين شعراء الأندلس والمشاركة حيناً آخر .
- ١٠ - يهتم بمسألة السرقات وما يتصل بها من تأثير الشعراء بعضهم ببعض ومنهجه في دراسة السرقات الأدبية منهج معتدل منصف .

والخلاصة أن ابن بسام ناقد محافظ يقوم منهجه النقدي على المحافظة على التقاليد الأدبية والنقدية الموروثة مع البعد عن الفلسفة والحرص على تحري الإنصاف في الحكم.

الدراسات الأندلسية عن المتنبي قبل ابن بسام:

وصلت أخبار المتنبي وأشعاره إلى الأندلس في حياته وبعد ذلك أسهم علماء الأندلس وأدباؤها بجهد وافر في ميدان البحث عن المتنبي وشرح شعره ونقد منهجه الشعري وقد استوفى هذه المسألة بالبحث الدقيق والتحقيق العلمي الرائع الدكتور محمد بن شريفة في كتابه الممتاز (أبوتام وأبو الطيب في أدب المغاربة).

وكان المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير قد سبق ابن شريفة إلى دراسة هذا الأمر في كتابه (أبو الطيب المتنبي : دراسة في التاريخ الأدبي) الذي ترجمه الأستاذ الدكتور إبراهيم الكيلاني لكن دراسة ابن شريفة قد تجاوزت ما كتبه بلاشير وأضافت إليها الشيء الكثير.

وباختصار شديد فإن عدداً من أهل الأندلس قد التقى بالمتنبي وبخاصة في مصر ورووا شعره وأخبراه عند عودتهم إلى الأندلس ومن هؤلاء أبو الوليد بن عيال الأندلسي وابن المستكفي الأندلسي وزكريا بن بكر المعروف بابن الأشج وأبو عبد الله محمد بن قادم القرطبي كما كان لعلماء القيروان وصقلية تأثير كبير في نقل شعر المتنبي وأخبراه إلى الأندلس.

وقد أسهم الأندلسيون قبل ابن بسام بشروح جيدة شهيرة لشعر المتنبي ولعل أقدمها شرح الأديب اللغوي محمد بن أبان القرطبي^(١١) للديوان وهو شرح مفقود وقد توفي ابن أبان عام (٣٥٤هـ) وهو العام الذي توفي فيه المتنبي.

ولعل أقدم شرح أندلسي معروف للديوان المتنبي هو شرح ابن الإفيلي^(١٢) ثم توالى الشروح من أمثال شرح ابن سيدة^(١٣) وشرح الأعلام الشنتمري^(١٤) وشرح ابن السيد البطليوسي^(١٥).

ولم تقتصر عناية الأندلسيين بشعر المتنبي على تلك الشروح بل والتعليقات بل تجاوزت ذلك إلى عدد من المؤلفات الأدبية والنقدية كما أن الحركة الأدبية حوله استمرت إلى سقوط الأندلس.

مصادر ابن بسام عن المتنبي :

لاشك أن ابن بسام قد اطلع على ديوان المتنبي وبعض شروحه وعدد موفور من الكتب التي تحدثت عنه وعن شعره.

وإذا تتبعنا حديث ابن بسام عن المتنبي في ذخيرته فسنجد أنه قد صرح باسم بعض مراجعه عن المتنبي ولم يصرح بالبعض الآخر ويتضح ذلك فيما يلي :

- ١ - صرح ابن بسام بالنقل عن أبي الفتح بن جني فقال في ترجمة المتنبي :
«قال أبو الفتح»^(١٦) فبلغني أن أبا الطيب قال : إنما أردت سر من السرية فأمر له -
أي سيف الدولة - بجارية».
- ٢ - اعتمد كثيراً على ترجمة الثعالبي للمتنبي في (يتيمة الدهر) ونحن نعرف مدى تأثير ابن بسام بالثعالبي في المنهج والطريقة وقد لحظ المؤرخون للنقد العربي وحركة التأليف في الأندلس مدى اقتداء ابن بسام في الذخيرة بالثعالبي في اليتيمة .
وقد صرح بالنقل عن اليتيمة في موضعين يتعلقان بالمتنبي فقال في ترجمة ابن دراج^(١٧) «وقد أجرى الثعالبي طرفاً من أمره وأغرب بلمع من شعره فقال في كتابه المترجم باليتيمة : بلغت أن أبا عمر القسطلي كان عندهم بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام» .
وقد ترجم ابن بسام للثعالبي نفسه في القسم الرابع من الذخيرة ونقل نصاً من اليتيمة في بيان قيمة المتنبي حيث يقول الثعالبي^(١٨) «وكان المتنبي نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر» . . إلى آخر النص الطويل ولاشك أن ابن بسام قد نقل عن الثعالبي - فيما يخص المتنبي - في مواطن أخرى دون تصريح باسمه أو باسم كتابه (اليتيمة) ويتضح ذلك من مقارنة نصوصه عن المتنبي بنصوص الثعالبي .

- ٣ - نقل نصاً لابن شهيد الأندلسي في رسالة التوابع والزوابع عن المتنبي حيث يقول ابن شهيد^(١١) على لسان تابعه زهير «ومن تريد بعدُ قلت له : خاتمة القوم صاحب أبي الطيب ثم يورد نصاً طويلاً من التوابع والزوابع» .
- ٤ - أشار إلى شرح ابن الإفليلي لشعر المتنبي^(١٢) .
- ٥ - وفي ترجمته لابن شرف القيرواني نقل نصاً^(١٣) من كتابه (مسائل الانتقاد) عن المتنبي .
- ٦ - وهناك مصادر أخرى رجع إليها ابن بسام لم يصرح بها لكن المتتبع لكلامه يستطيع إدراك مصادرها بمقارنة النصوص وقد أشار الأستاذ محمد بن شريفة إلى أن^(١٤) (ثمة نقول غير منسوبة في ذخيرة ابن بسام تدل على استفادته من شرح الوحيد البغدادي وردوده على ابن جني والوساطة للجرجاني) .
- كما أن كثيراً من مآخذه على المتنبي قد عاد فيها إلى التراث السابق له في هذا المجال وبخاصة رسالتي الصاحب بن عباد في نقد شعر المتنبي .
- ٧ - بذل محقق الذخيرة الدكتور إحسان عباس جهوداً مشكورة في تعليقاته على الذخيرة فحاول إرجاع نصوص ابن بسام إلى مراجعها التي نقل منها المؤلف ومن ذلك نقوله عن المتنبي .

كتاب (سركات المتنبي ومشكل معانيه) المنسوب لابن بسام

حقق فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كتاباً بعنوان^(١٥) (سركات المتنبي ومشكل معانيه) ونسبه إلى ابن بسام النحوي وقال في مقدمته^(١٦) : (أما مصنف هذا الكتاب فنتوهم وتوهم بعض الأفاضل قبلنا أنه لابن بسام صاحب الذخيرة) .

وقال أيضاً : وأسلوب هذا الكتاب وطريقته توافقت تمام الموافقة طريقة ابن بسام في كتابه الذخيرة من نسبة المعاني الشعرية إلى من سبق قائلها ومن التنظير بينها وبين ما يشبهها ومن نقد لها بالثناء إن استحقه أو ضده إن اقتحمه .

ومنذ أن نشر ابن عاشور هذا الكتاب والدارسون لابن بسام الشنتريني والمعنون بتاريخ الأدب الأندلسي في حيرة من أمر هذا الكتاب ومن نسبته إلى ابن بسام صاحب

الذخيرة وخلاصة الأدلة التي استندوا إليها في هذا الشك هي :

- ١ - أن الكتاب قد كتب على مخطوطته ابن بسام النحوي ولم يكن ابن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة من علماء النحو المنسوين إليه .
- ٢ - التزام مؤلفه بالترتيب الأبجدي المتعارف عليه عند المشاركة ومخالفته للترتيب الأندلسي للحروف .
- ٣ - بتطبيق إشارات ابن بسام في الذخيرة إلى سرقات المتنبي ومشكل معانيه على ماورد في هذا الكتاب نجد اختلافاً في النصوص والآراء مما يدل على أن هذا الكتاب لمؤلف آخر من أهل شنترين ومن علماء النحو .
- ٤ - لم يرد لهذا الكتاب ذكر أو إشارة في كتاب الذخيرة مع أن كتاب الذخيرة من مؤلفاته المتأخرة .

وأخيراً أثبت الدكتور محمد بن شريفة في كتابه^(٢٥) (أبوتام وأبو الطيب في أدب المغاربة) أن الكتاب ليس لابن بسام صاحب الذخيرة وإنما هو لشنتريني آخر هو أبوبكر محمد بن عبد الملك الشنتريني^(٢٦) المشهور بابن السراج وهو القسم الرابع من كتابه (جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب) وقد أشارت نشرة أخبار التراث (العدد الثالث والثلاثون/ المحرم ١٤٠٨هـ) إلى أن الأستاذ محمد قزقزان قد قام بتحقيق هذا الكتاب .

وبذلك طويت صفحة من ادعوا أن لابن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة كتاباً مستقلاً من سرقات المتنبي ومشكل معانيه وبقيت (الذخيرة) هي مصدرنا الوحيد في معرفة آراء ابن بسام في المتنبي وتأثير شعره في شعراء الأندلس .

أخبار المتنبي في الذخيرة :

سنحاول أن نلم شتات أخبار المتنبي وتعليقات ابن بسام من خلال تصنيف ما ورد عنه في (الذخيرة) .

- ١ - ترجم ابن بسام للمتنبي ترجمة عارضة في القسم الثالث من الذخيرة وقال^(٢٧) (ورأيت هنا أن ألع بيسير من أخبار أبي الطيب سوفاً لفائدة أدى إليها الخبر

وإشارة إلى بعض محاسنه التي عنه تؤثر وإن كان خارجاً عن هذا الغرض الذي شرطته من حذف التطوير والاجترار عن الكثير بالقليل).
وتقع تلك الترجمة في أربع صفحات وقد وردت في ختام ترجمته للوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي الإسلامي.
ولم يترجم له ضمن من ترجم لهم من المشاركة في القسم الرابع لأن المتنبي عاش قبل القرن الخامس.

٢ - أورد أخباراً متفرقة عن المتنبي في ثنايا الذخيرة مثل:

أ - خبر مقتله^(٢٨) من خلال التعليق على بيته المتشائم.

وأيّاً شئت ياطرقي فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكاً

ب - خبر وصل ابن زريق^(٢٩) له بعشرة دراهم على إحدى قصائده.

٣ - أورد أخباراً عن المتنبي من خلال النقول التي نقلها عن الآخرين مثل:

أ - ما نقله عن الثعالبي^(٣٠) في يتيمة الدهر.

ب - ما نقله عن ابن شهيد^(٣١) في التوابع والزوابع.

ج - ما نقله عن ابن شرف^(٣٢) في مسائل الانتقاد.

٤ - معرفة المتنبي بالشعر الأندلسي من خلال حديثه عن إعجاب المتنبي بشعر يحيى

ابن هذيل القرطبي ولأهمية الخبر واحتفاله بثناء الشاعر الكبير على هذا الشاعر الأندلسي فقد أورد الخبر مرتين فقال^(٣٣)

أولاً : وذكر أن المتنبي أنشد من شعر أهل الأندلس حتى أنشد هذين البيتين فقال هذا أشعر القوم.

والبيتان ليحيى بن هذيل وهما:

لما وضعت على قلبي يدي بيدي وصحت في الليلة الظلماء واكبدي

ضجت كواكب ليلي في مطالعها وذابت الصخرة الصماء من جلدي

ثانياً: ثم كرر هذا الخبر في مكان آخر فقال: وحكى أن أبا الطيب على قلة رضاه

عن شعر أحد فمما ذكر عنه أنه أنشد لجملة من شعراء الأندلس حتى أنشد

قول ابن هذيل فقال أبو الطيب: هذا أشعر أهل المغرب.

- ٥ - أورد في مواضع عديدة ما أخذه شعراء الأندلس من شعر المتنبي .
- ٦ - تضمنت الذخيرة طائفة من الأقوال لابن بسام وغيره في الثناء على المتنبي والكشف عن عبقرية الشعرية .
- ٧ - كما تضمنت الذخيرة مجموعة من المآخذ على شعر المتنبي .
- ٨ - تحدث عن معارضة بعض الأندلسيين والمغاربة لشعر المتنبي ومن ذلك :
- أ - محاولة ابن شرف^(٣٥) معارضة شعر المتنبي وعجزه عن ذلك في خبر طويل .
- ب - محاولة ابن رشيق^(٣٦) أيضاً تلك المعارضة .
- ج - معارضة ابن الحداد^(٣٧) .
- د - معارضة ابن عبدون^(٣٨) .
- هـ - معارضة ابن دراج القسطلي^(٣٩) .
- و - معارضة عبدالله بن خليفة القرطبي^(٤٠) .

ما أخذه شعراء الأندلس من معاني شعر المتنبي وألفاظه

اهتم ابن بسام بتتبع تأثير شعر المتنبي في الشعر الأندلسي وعننى بيان ما أخذه شعراء الأندلس من شعر المتنبي لفظاً أو معنى .

واختلفت عباراته في الحكم على الشعراء بين التصريح بالسرقة من المتنبي وبين التأثر بالمعنى أو اللفظ والمعنى .

ويمكن تصنيف ذلك على النحو الآتي :

١ - مغتصب من قوله^(٤١) :

قال في ترجمة أبي بكر بن عمار :

وقوله :

وما هو إلا لثمٌ كفٍ محمد وتمكين كفي من نواصي المظالم

مغتصب من قول أبي الطيب :

كان رحيلي كان من كف طاهر فأثبت كوري في ظهور المواهب

٢ - من السرق الواضح والاهتدام الفاضح^(٤٢)

قال في ترجمة أبي محمد عبدالله بن صارة الشنتريني .

قوله :

ولم أزد هم بها فضلاً وهل أحد في وسعه رفع قدر الشمس والقمر
وقوله : ولم أزد هم بها فضلاً من السرق الواضح والاهتدام الفاضح وهو قول أبي
الطيب :

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع

٣ - اهتدم شعره^(٤٣)

قال في ترجمة الوزير الحكيم أبي محمد المصري بعد إيراد أبيات له من قصيدة
طويلة اهتدم فيها أبو محمد قصيدي أبي الطيب والمعري اللتين في وزنهما ورويها .

٤ - منقول من قوله^(٤٤) :

قال في ترجمة ابن زيدون قوله :

رأى أنه أضحى هزبراً مصمماً فلم يعد أن أمسى ظليماً مشرداً
وهذا منقول من قول أبي الطيب :

فأتيت معتماً ولا أسد ومضيت منهزماً ولا وعل

٥ - مقتضب من قوله^(٤٥)

يا من تألف ليله ونهاره فالحسن بينهما مضيء مظلم
البيت مقتضب من قول أبي الطيب :

الحزن يغلق والتجلد يردع والدمع بينهما عصي طيع

٦ - نقل لفظه^(٤٦) :

قال في ترجمة الوزير أبي الوليد محمد بن عبدالعزيز المعلم : قوله :

لو كنت صادقة رحلت إلى الصبا وخضبت شيبي بالشباب محيلاً

نقل لفظه من قول أبي الطيب :

خلقت ألوفاً لو رددت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكياً

٧ - أخذه من قوله^(١٧)

قال في ترجمة أبي إسحاق بن معلي قوله :

وتلجلج الناعي به فسألته عود الحديث لعله يرتاب
قوله : وتلجلج الناعي البيت . . . من قول أبي الطيب :
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
وأخذه أبو الحسن بن الجدد فقال من شعر قد تقدم إنشاده في القسم الثاني من
هذا المجموع .

تصاممت عنها مستريحاً إلى المنى وقلت عساها في الأحاديث بهتان

٨ - ذهب مذهبه وقصر عنه^(١٨) :

قال في ترجمة الأديب علي بن حصن الأشبيلي قوله :

يروقك منه خلقة وخليقة متى شئت إطراء أرتك بما تطرى
وهذا مما ذهب به مذهب أبي الطيب وقصر عنه :
وأخلاق كافور إذا شئت مدحه إن لم أشأ تملى علي وأكتب

٩ - وهولفظ أبي الطيب^(١٩) :

قال في ترجمة الوزير أبي محمد عبدالمجيد بن عبدون قوله :

هيهات لا أبتغي منكم هوى بهوى حسبي أكون محباً غير محبوب
قوله : حسبي أكون محباً غير محبوب لفظ أبي الطيب :
أنت الحبيب ولكني أعوذ به من أن أكون محباً غير محبوب

١٠ - قلب قوله^(٢٠)

قال في ترجمة ابن زيدون قوله :

وما ولعي بالراح إلا توهم لظلم به كالراح لم يتشف
أراه قلب قول أبي الطيب :
وما شرقي بالماء إلا تذكراً للماء به أهل الحبيب نزول

١١ - ينظر إلى قوله أو يشير إلى قوله أو ذهب إلى قوله أو ألم بقوله أو احتذى حذوه
انظر (ق ١ ج ١ ص ٧٥) و(ق ١ ج ١ ص ٤٤٦) و(ق ١ ج ١ ص ٤٧٥) و(ق ٢
ج ١ ص ٦٤) و(ق ٢ ج ١ ص ٣٣٢) و(ق ٢ ج ١ ص ٣٨٦) و(ق ٢ ج ١
ص ٤٨٦) و(ق ٢ ج ١ ص ٤٩٧) و(ق ٢ ج ٢ ص ٦٢٠) و(ق ٢ ج ٢ ص ٧١٦)
و(ق ٣ ج ٢ ص ٨٤٤).

١٢ - ينظر إلى معناه وذهب إلى معناه انظر (ق ١ ج ٢ ص ٧١٥) و(ق ٢ ج ١
ص ٢١٧).

١٣ - كقوله ويشبه قوله انظر (ق ١ ج ١ ص ٧٩ و ٣٢٤ و ٣٥٣ و ٣٥٨ و ٤٤٢ و ٤٤٦
و ٤٧٥ و ٥١٠) و(ق ٢ ج ١ ص ٢٤٧ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٥٠٣) و(ق ٢ ج ٢ ص ٦١٨
و ٧١٦ و ٧١٩ و ٨٠١) و(ق ٣ ج ٢ ص ٦٧٩ و ٨٢٤).

١٤ - من قوله انظر (ق ١ ج ١ ص ٨١ و ١٤٣ و ١٥٧ و ٣٧٥ و ٣٨١ و ٤٤٦ و ٤٥٠)
و(ق ٢ ج ١ ص ١٤٣ و ١٤٩ و ٤٩٩) و(ق ٢ ج ٢ ص ٧٩٨).

١٥ - تخميس شعره أو تضمينه انظر (ق ٢ ج ٢ ص ٥٤١) و(ق ٣ ج ٢ ص ٨٦٣).

ومن ذلك يتضح أن شعر المتنبي كان حاضراً في ذهن ابن بسام وهو يؤلف عن
شعراء عصره ويدرس معانيهم وألفاظهم.

ويتضح أيضاً أنه لم يكن من النقاد الذين يبادرون إلى اتهام الشعراء بالسرقة
ويتخذون ذلك مطية للهجوم عليهم وإنكار إبداعاتهم بل كان ينظر إلى مسألة
السرقات الأدبية بميزان العدل والتحري وإحقاق الحق.

الإعجاب بالمتنبي والثناء على شعره:

كان ابن بسام من المعجبين بالمتنبي وشعره ونجد ذلك واضحاً في ثنايا حديثه عنه
في النقول التي استشهد بها من أقوال الآخرين ومن ذلك:

١ - قال ابن بسام: بل^(١) دَرَدَرُ أبي الطيب من شاعر نطق بالبديِّ وجرى على عَتَق

جده الكندي فسبق واستولى على الأمد بقوله إذ صدق:

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

٢ - وقال في ترجمة الوزير أبي العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر: وقول الوزير أبي العلاء^(٩٢):

وما أثر العضب الحسام بذاته إلا بأن سُميت من أسمائه
هو من مליح المدح في حسن التصرف بجنس السيفية وأبو الطيب ممن اتخذ سببا
إلى سمائها وعرج وقرع بابها حتى دخل كيف شاء وخرج بقوله:
لقد رفع الله من دولة لها منك ياسيفها مُنْصَلُ

٣ - وقال في ترجمة ابن الحداد تعليقا على قوله^(٩٣):

وإن ولعت فيه أذْيَهَانُ معشر فلا فضل للأنوار في مقلة الخلد
قال ولعله أراد أن يتبع أبا الطيب في قوله:
ظلمت بيت أصيحابي أكفكفه وظل يسفح بين العُذْرِ والعذل
وهيهات ما كل من جرى سبق ولا كل من ارتاح نطق.

٤ - وقال في ترجمة ابن زيدون^(٩٤) تعليقا على قول أبي الطيب:

وما في طبه أني جواد أضرب بجسمه طول الجمام
قال: وقد كرر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من شعره وكلف به وشغف
وصرف الكلام فيه فتصرف.

٥ - وقال في ترجمة ابن عبدون^(٩٥): أما قوله:

هفت بي والدجى يهفو حشاه كما كسرت على خُزُر عقاب
فما أولاه عليها بالعقاب إذ نسخ لفظ أبي الطيب كما تراه وقصر أكثر مما شاء عن
معناه وهو:

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب
على أن أبا الطيب إنما تطرف قول طرفة:

بكتائب تُردي كما تردي إلى الجيف النسور
ولكن المتنبي طار في السماء مع العقاب وترك طرفه في الأرض على التراب .

٦ - وقال معلقاً على قول أبي الحسن التهامي^(٥٦)
إني لأطرف طرفي عن محاسنها تكرماً وأكف الكف عن أمم
ولا أهم ولي نفس تنازعني أستغفر الله إلا ساعة الحلم
ومعنى هذا البيت حسن ولكن أبا الطيب كان أملك لشهوته وأعف في حين
خلوته حيث يقول :

يرد يداً من ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
ألا تسمع كيف عف عن الكرى وأبى من حسن اللفظ وبراعة القسمة بما ترى .

٧ - وقال في ترجمة المظفر بن الأفطس^(٥٧) : حدثني من سمعه يقول : من لم يكن شعره
مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكت لا يرضى بدون ذلك .

٨ - ونقل نصاً من الثعالبي^(٥٨) يدل على الإعجاب بالمتنبي حيث يقول الثعالبي :
كان المتنبي نادرة الفلك واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر . .

٩ - كما نقل عن ابن شرف القيرواني قوله في المتنبي^(٥٩) : وأما المتنبي فقد شغلت به
الألسن وسهرت في أشعاره الأعين . . .

وهذه النصوص التي أبدعها أو رواها عن غيره تدل على إعجاب شديد بالمتنبي .

مآخذ ابن بسام على شعر المتنبي

على الرغم من إعجاب ابن بسام الشديد بأبي الطيب إلا أنه وجه لشعره بعض
الانتقادات ونقل عن غيره أخرى منطلقاً في ذلك من منهجه النقدي القائم على إبعاد
الشعر عن الفلسفة والغلو ومن ذلك :

١ - انتقد ابن بسام تفلسف عبد الجليل بن وهبون وعلق على بعض شعره بقوله^(٦٠) :
وهذا معنى فلسفي قلما عرج عليه عربي وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء
حيث ضاق عنهم منهج الصواب وعدموارونق كلام الأعراب فاستراحوا إلى هذا

لهذين استراح الجبان إلى نقص أقرانه واستجاده سيفه وسنانه وقد قال بعض أهل النقد إنه عيب في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمة من كلام الأطباء أو بالفاظ الفلاسفة القدماء وإني لأعجب من أبي الطيب على سعة نفسه وذكاء قلبه فإنه أطال قرع هذا الباب والتمرس بهذه الأسباب .
ثم أورد نماذج من ذلك للمتنبى والمعري .

٢ - انتقد بعض استعارات المتنبى وتشبيهاته الغريبة وهذا نابع من رأيه في الاستعارة وأنها ينبغي أن تسير على سنن العرب في ذلك .
قال في ترجمة عبد الملك بن شماخ^(١) معلقاً على قوله :

ولولا علاء عشت دهري بعده وكيس كلامي لا أحل له عقدا
قال ابن بسام : واستعارته كيساً للكلام من مضحكات الأنام وقرأت في أخبار
الصاحب بن عباد قال : كنا نتعجب من قول أبي تمام :
لا تسقي ماء الملام
ونستبشع استعارته له ماء حتى عذبت عندنا بـ (حلواء البنين) في قول أبي
الطيب :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل
وقد قدح أهل النقل في المتنبى بخروجه في الاستعارة إلى حيز البعد بقوله :
مسرة في قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب
وفي قوله :

إلا يشب فقد شابت له كبـ شيبا إذا خَضَبَتْهُ سلوةٌ نصلا
وقوله :

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت بها فصبيها الرخصاء
فجعل كما تسمع للطيب واليلب والبيض قلوباً وللكبد شيباً وللشباب حمى
وكذلك أخذ على المتنبى قوله^(٢) :

لويته دملجا على عضد لدولة ركنها له والد
لما كان الممدوح عضد الدولة أراد أن يصوغ لها دملجاً فأخطأ الصوغ لاسيما في

بيت ختم به القصيدة وهو آخر ما يقع في السمع .
وفي موضع آخر من الذخيرة علق على رثاء المتنبي أم سيف الدولة بقوله :
سلام الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال
وقال : إن أشد الرثاء صعوبة على الشعراء تأيين الأطفال والنساء ألا ترى أبا
الطيب وهو الذي قال فأصاحت الأيام والليالي قد عابوا عليه - البيت السابق -
وقالوا : ما له ولهذه العجوز يصف جمالها؟ وتعصب له بعضهم فقال : إنها
استعارة فقيل : إنها استعارة حداد في عرس . . .
ولولا الإطالة وأنها تفضي إلى الملالة لزدنا فلنرجع إلى ما وعدنا .

٣ - انتقد غلو المتنبي فقال^(٣٦) : وذكرت بها وصفه ابن حسداي من قوس قزح خبراً وبحكي
عن أبي الطيب المتنبي وإن ذهب في الغلو أبعد مذهب ، ندف له قطن في ثوب أمر
بعمله ، فوجه لصانعه فيه درهماً فاستقله وصرفه عليه فمثل الصانع بين يديه وطلب
منه فيه ديناراً فقال له المتنبي : والله لو ندفته بقوس قزح على أجنحة الملائكة ما
أعطيتك عليه ديناراً .

٤ - انتقد شعر البديهة عند المتنبي ورأى أنه لا يجيد ذلك فقال^(٣٧) :
وكان أبو الطيب كثير البديهة إلا أن شعره نازل فيه وأهل الشعر في ذلك في سعة
من العذر .

٥ - نقل تعليق صاحب بن عباد على قول المتنبي في المديح^(٣٨) :
في رتبة حجب الورى عن نيلها وعلا فسموه عليّ الحاجبا
قال صاحب : وقد قتل المتنبي من هذا حبلاً اختنق به .

أقوال النقاد في دراسات ابن بسام عن المتنبي :

أثنى كثير من الأدباء والنقاد على دراسات ابن بسام لشعر المتنبي في كتاب
(الذخيرة) ووصفوا منهجه بالإنصاف وتحري الدقة والبعد عن المبالغة ومن أقوالهم :
١ - قال المستشرق الفرنسي «ريجيس بلاشير»^(٣٩) : وكان جامع المختارات الشعرية
ابن بسام يعرف ديوان المتنبي معرفة عميقة ويستشهد به بوصفه مصنفًا تقليدياً .

٢ - قال المستشرق (إميليو غرسيه غومث)^(٦٧) وفي الحقيقة عندما نجد أديباً علامة كابن بسام في كتابه (الذخيرة) يعلق على القصائد ويشير إلى ما سبقت به نجد اسم المتنبي يتردد بكثرة بين أهم من احتذاهم الشعراء وعلى نحو لم يسبق إليه والإشارة إلى شاعر سيف الدولة وذكر آرائه تظهر إعجاباً صادقاً به منقطع النظر. (٠).

٣ - قال الدكتور محمد بن شريفة^(٦٨) :
أما ابن بسام فقد ترجح بين الإعجاب والانتقاد وساق أخباراً تشير إلى إعجاب الأدباء بشعر (المتنبي) وعجز بعض الشعراء عن معارضته كخبر ابن شرف وابن رشيق وعلق على من أراد أن يتبع طريقة أبي الطيب في التصغير بقوله : ولكن هيهات ما كل من أجرى سبق ولا كل من ارتحل نطق ، كما نقل شيئاً من قدح أهل النقد فيه وعاب عليه استعمال ألفاظ الفلاسفة .

٤ - قال الدكتور مصطفى عليان^(٦٩) : ولقد حظى المتنبي في الصعيدين الرسمي والشخصي بالإعجاب والاستحسان وقد سلفت الإشارة إلى الجانب الرسمي أما الجانب الشخصي فليس أدل على أثره من محاولة ابن بسام الشنتريني تقصي ذلك حتى ضاقت ذخيرته عن احتواء الجزئيات التي تتبع فيها شعراء الأندلس معاني أبي الطيب أخذاً ونظراً واستعانة وإلماماً واقتناءً .

وأخيراً فقد طوفنا في هذا البحث القصير مع ابن بسام في كتابه العظيم (الذخيرة) وهو يتحدث في مواضع متفرقة عن شاعر العربية الكبير أبي الطيب المتنبي وتعرفنا على منهجه وأسلوبه ومدى إسهامه في الدراسات المتعلقة بالمتنبي .

وقد تحدث ابن بسام عن شعراء آخرين من المشاركة بل وترجم في القسم الرابع لمجموعة منهم من شعراء القرن الخامس لكن مذكروه عنهم لا يصل إلى مستوى ما ذكره عن أبي الطيب .

والله الموفق .

هوامش البحث

- (١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني بتحقيق الدكتور إحسان عباس ط دار الثقافة/ بيروت/ ١٣٩٩ (ق ٣ ج ١ ص ٤٩٤-٤٩٨).
- (٢) انظر فهرس الذخيرة في نهاية كل قسم على حدة.
- (٣) عن ابن بسام صاحب الذخيرة انظر المغرب لابن سعيد الأندلسي (١: ٤١٧) ونفح الطيب للمقري (٥: ٩) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي.
- ومن الدراسات الحديثة عن ابن بسام انظر كتاب: (ابن بسام وكتابه الذخيرة) للدكتور حسين يوسف حسين.
- وكتاب تاريخ النقد الأدبي في الأندلس للدكتور محمد رضوان الداية.
- (٤) عن كتاب الذخيرة لابن بسام انظر كتاب (ابن بسام وكتابه الذخيرة) للدكتور حسين يوسف حسين وكتاب (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) لإحسان عباس وكتاب (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس) للدكتور محمد رضوان الداية وكتاب (تيارات النقد الأدبي في الأندلس) للدكتور مصطفى عليان وكتاب (اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين) للدكتور محمد عبدالمطلب مصطفى وكتاب (ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الحامي الهجري) للدكتور مصطفى السيوفي.
- (٥) للموازنة بين (الذخيرة) و(البييمة) انظر ملامح التجديد في النثر الأندلسي لمصطفى السيوفي ابن بسام وكتابه الذخيرة لحسين يوسف حسين (ص ٢٥٣) وتيارات النقد الأدبي في الأندلس لمصطفى عليان (ص ٦٤٥).
- (٦) عن أسلوب ابن بسام في الذخيرة انظر كتاب ابن بسام وكتابه الذخيرة لحسين يوسف حسين (ص ٣٢).
- (٧) عن مصادر ابن بسام في كتابة الذخيرة انظر ابن بسام وكتابه الذخيرة لحسين يوسف حسين (ص ٧١) فقد فصل القول في ذلك ودلل على كثرة مصادره وتنوعها.
- (٨) تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس (ص ٥٠١).
- (٩) عن رواية شعر المتنبي من الأندلسيين انظر (أبو الطيب المتنبي) لبلاشير و(أبو تمام وأبو الطيب) لمحمد بن شريفة.
- (١٠) انظر في ذلك: أبو تمام وأبو الطيب لابن شريفة ص ٩٧.
- وأبو الطيب المتنبي لبلاشير (ص ٤٠٦).
- (١١) عن أيام القرطبي وشرحه انظر (أبو تمام وأبو الطيب) لابن شريفة (ص ٩٧).
- (١٢) ابن الإفيلي (٣٥٢-٤٤١هـ).
- أبو القاسم إبراهيم بن محمد الزهري المعروف بابن الإفيلي من أهل قرطبة وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٥١: ١) وشذرات الذهب لابن العماد (٣: ٢٦٦) والوافي للمصفي (٥/ ٧٨).
- وانظر عن شرحه لديوان المتنبي كتاب (الحركة النقدية حول المتنبي) لليلى الشايب وكتاب (أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة) للدكتور محمد بن شريفة وكتاب (أبو الطيب المتنبي) لبلاشير.
- (١٣) ابن سيده (٣٩٨-٤٥٨هـ).
- أبو الحسن علي بن أحمد بن سيدة اللغوي الأندلسي الشهير.

انظر في ترجمته المقرب لابن سعيد (٢٥٩/٢) ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٣٠) ومعجم الأدباء لياقوت (١٢: ٢٣١).

وانظر عن شرحه للديوان كتاب (الحركة النقدية حول المتنبي) لليل الشايب وكتاب (أبو الطيب المتنبي) لبلاشير وكتاب (أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة) لمحمد بن شريفة. وقد حقق هذا الشرح (شرح مشكل شعر المتنبي) مصطفى السقا وحامد عبد المجيد في مصر ومحمد رضوان الداية في سوريا والشيخ محمد حسين آل ياسين في العراق.

(١٤) الأعلام الشنتمري (٤١٠ - ٤٧٦هـ).

أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي
انظر في ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان (٦/٧٩) ونفع الطيب للمقري (٥/٢١٤) والصلة لابن بشكوال (٢: ٦٨١) ومعجم الأدباء لياقوت (٢٠: ٦٠).
وشرحه خاص بقصائد المتنبي في صباه.

وانظر عن هذا الشرح بلاشير (ص ٤١٢) وابن شريفه (ص ١١١).

(١٥) عن شرح ابن السيد البطليوسي انظر (أبو تمام وأبو الطيب) لابن شريفة (ص ١٢١).

(١٦) الذخيرة (ق ٣ ج ١ ص ٤٩٦).

(١٧) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ٦٠).

(١٨) الذخيرة (ق ٤ ج ٢ ص ٥٧٢) وانظر يتيمة الدهر (ج ١: ص ١٢٦).

(١٩) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٣٦٥) وانظر رسالة التوايع والزوايع لابن شهيد ص.

(٢٠) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ٢٨٢).

(٢١) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٢١٠).

(٢٢) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة لمحمد بن شريفة ص ١٢٩.

(٢٣) سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي تحقيق محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر / تونس / ١٩٧٠م.

(٢٤) مقدمة ابن عاشور تحقيق كتاب سرقات المتنبي.

(٢٥) أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة لابن شريفة ص ١٣٢.

(٢٦) أبو بكر محمد بن عبد الملك الشتريني المعروف بابن السراح (. . . ٥٥٤٩هـ).

انظر ترجمته في الوافي الصفدي (٤: ٤٦) والتكملة لابن الأبار (٢/٤٧٢) ونفع الطيب للمقري (٢/٢٣٨). وعن كتابه جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب انظر (أبو تمام وأبو الطيب) لمحمد بن شريفة ومقدمة تحقيق كتابه الآخر تنبيه الألباب على فضائل الأعراب.

(٢٧) الذخيرة (ق ٣ ج ١ ص ٤٩٤).

(٢٨) الذخيرة (ق ١ ج ٢ ص ٨٤٥).

(٢٩) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ١٢٦).

(٣٠) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٥٧٢) وانظر يتيمة (١: ١٢٦).

- (٣١) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ٢٦٥).
- (٣٢) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٢١٠).
- (٣٣) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ٥١٥).
- (٣٤) الذخيرة (ق ٣ ج ١ ص ٣٤٧).
- (٣٥) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٢٣).
- (٣٦) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٢٤).
- (٣٧) الذخيرة (ق ١ ج ٢ ص ٧٢٠).
- (٣٨) الذخيرة (ق ٢ ج ٢ ص ٧٠٩).
- (٣٩) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ٦٠).
- (٤٠) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٣٥٤).
- (٤١) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ٣٨٠).
- (٤٢) الذخيرة (ق ٢ ج ٢ ص ٨٤٩).
- (٤٣) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٣٥٤).
- (٤٤) الذخيرة (ق ١ ج ٢ ص ٣٧٦).
- (٤٥) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ٣٧٦).
- (٤٦) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ١٢٢).
- (٤٧) الذخيرة (ق ٣ ج ٢ ص ٨٤٩).
- (٤٨) الذخيرة (ق ٢ ج ٢ ص ٢٦٧).
- (٤٩) الذخيرة (ق ٢ ج ٢ ص ٦٩٩).
- (٥٠) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ١٤٨) و (ق ٤ ج ١ ص ١٤).
- (٥١) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٢٠) وديوان المتنبي بشرح العكبري (٣ : ٩٣).
- (٥٢) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ٢٢٦).
- (٥٣) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ٧٢٠) وديوان المتنبي بشرح العكبري (٣ : ٧٥).
- (٥٤) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ٣٥٨) وديوان المتنبي بشرح العكبري (٤ : ١٤٨).
- (٥٥) الذخيرة (ق ٢ ج ٢ ص ٧٠٩) وديوان المتنبي بشرح العكبري (١ : ٧٥).
- (٥٦) الذخيرة (ق ٤ ج ٢ ص ٥٤٢).
- (٥٧) الذخيرة (ق ٢ ج ٢ ص ٦٤١).
- (٥٨) الذخيرة (ق ٤ ج ٢ ص ٥٧٢).
- (٥٩) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٢١٠).
- (٦٠) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ٤٨٠).
- (٦١) الذخيرة (ق ١ ج ٢ ص ٨٤٢).
- (٦٢) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ٤٩٠) وديوان المتنبي بشرح البرقوقي (٢ : ٧٩).

- (٦٣) الذخيرة (ق ٣ ج ١ ص ٤٩٠).
- (٦٤) الذخيرة (ق ٤ ج ١ ص ٢٧).
- (٦٥) الذخيرة (ق ٢ ج ١ ص ٢٢٢).
- (٦٦) أبو الطيب المتنبي لبلاشير ترجمة إبراهيم الكيلاني ص ٤١٣.
- (٦٧) مع شعراء الأندلس والمتنبي لاميليو غرسيه غومت / ترجمة الطاهر مكي ص ٤٤.
- (٦٨) أبونعام وأبو الطيب في أدب المغاربة لمحمد بن شريفة ص ١٣٢.
- (٦٩) تيارات النقد الأدبي في الأندلس لمصطفى عليان ص ٣١.